**عن الخوارج أتحدث**

**عبداللطيف بن عبدالله التويجري**

**الخطبة الأولى**

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ \* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران: 102- 103]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ). **أما بعد:**

لم تكن هذه الخُطبة تعميمًا وقّعته الشؤونُ الإسلامية، هذه الخُطبة حديثُ القلب إلى القلب، حديثُ الروح إلى الروح، حديثُ الأهل إلى الأهل، والرائدُ لا يكذب أهله!

هذه الخُطبة شعارُها: (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ)! ودثارُها، (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ).

وقبل الدخول في صميم هذه الخُطبة دعونا مع المؤرخ والمفسر والعالم الجليل ابنِ كثير يحدثُنا عن فتنةِ دهمت الناس، وجعلت بعضهم يربط أولاده وبعض قرابته خشية اللحاق بها.

قال -رحمه الله- بعد ما سرد أخبار الخوارج وخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه) :وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد.. وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى:  (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) **يكمل ابنُ كثير فيقول:** والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطأوا على المسير إلى المدائن ليتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هو على رأيهم ومذهبهم.

**يقول:** فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات، وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس المطرودُ عن السموات.

وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم **–تأمل هذا الكلام جيدًا يا رعاك الله-** فردُوهم وأنّبوهم ووبّخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنه من فرَّ بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة.

فاجتمعوا وبدءوا يقطعون الطرق على المسلمين، فمر عليهم عبد الله بنُ خباب بنِ الأَرَت، ابن الصحابي الشهير فأسروه ومعه امرأتَه وامرأتُه حامل، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا عبدُ الله بنُ خباب، ابنُ صاحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قالوا :أأنت عبدُ الله قال: نعم؟ ثم قال: روعتموني وروعتم امرأتي، فقالوا: لا بأس عليك، لا تُرع؟ حدثنا عن أبيك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال عبدُ الله: سمعت أبي خباب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أنه يقول: "**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي"** فلما سمعوا هذا الحديث، اقتادوه وقيدوه معهم.

فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم فشق جلده، فقال له خارجي آخر: لِمَ فعلت هذا وهو لذمي؟ وبينا هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحد الخوارج، فألقاها في فمه، فقال له خارجي آخر: أخذتها بغير إذن ولا ثمن؟ فألقاها ذاك من فمه..

ثم قدَّموا ابنَ خباب فذبحوه ذبح الشاة، وجاءوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حامل، ألا تتقون الله، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها، والوحشية في القتل من زمان قديم!

**توفيت العقول فلا عقول**

**ولا أصحابهن هم الصحابُ**

**تأمل!** يستحلون دماء المسلمين، ويريقونها تعبدًا الله، ويطلبون ذلك ابتغاء مرضات الله، ويتورعون عن تمرة وخنزير؟!

فقاتلهم علي -رضي الله عنه- والمسلمون معه قتالاً شديدًا، حتى أظفره الله بهم.

فلما انتهت المعركة وقف عليهم علي -رضي الله عنه- وقال لهؤلاء القتلى: **ضرَّكُم مَنْ غرَّكم**، فقال أصحاب عليّ: مَن غرهم يا أمير المؤمنين فقال: الشيطانُ والنفسُ الأمارة بالسوء وغرتُهم الأماني!

ولما انتهتِ المعركة جاء الناس مهنئين عليًّا -رضي الله عنه-، وقالوا له: الحمد لله يا أمير المؤمنين قُطع دابرهم !! فقال علي -رضي الله عنه-: **كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء !!**

من هنا نبدأ يا عباد الله! من هذه القولةِ العظيمة لأبي الحسن رضي الله عنه وأرضاه!

**(كلا والله إنهم لفي أصلابِ الرجال، وأرحامِ النساء (**صدقت والله يا أبا الحسن! صدقت وبررت!

الخوارج، والغلاة يا عباد الله طائفة من الطوائف، لم تَتَشكل في كوكب المشتري، ولم يأت أصحابها من نجم قطبي، بل أصحابها من جلدتنا، نحن وإياهم نعبد ربًّا واحدًا ونتبع رسولاً واحدًا، ونحب الإسلام ويحبونه، ولكنهم أرادوا حب هذا الدين، من حيث بغَّضوا الناس به، وأرادوا خدمته، من حيث صاروا يهدمونه!

وليس بعد وصف رسول الهدى -عليه الصلاة والسلامُ- وصفٌ حين قال: **"يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"، أي: يخرجون من الدين خروجًا سريعًا، كما ينطلق السهم من القوس**!

أتظنون أن هذا الانحراف مسألةٌ عتية؟! أو رَكوبٌ عصيٌ، أو دربٌ جبلي؟! إنما هي شعرات رقيقات ويَضِل الإنسانُ عن سواء السبيل! كانت فتنة الغلاة الأولى، أنهم قالوا لعلي -رضي الله عنه: لا حَكَمَ إلا الله، فعاتبوه على تحكيم الرجال، ثم طلبوه الرجوع ثم هددوه، ثم قاطعوه، ثم خلعوه، ثم كفَّروه، ثم حاربوه، ثم قتلوه!

**مروق وهتكٌ ثم بغي وفتنة،**

**وقتلٌ لأشياخٍ هداةٍ خضارم !**

**لماذا الحديثُ عن الخوارج؟!** لتكون الأجيال على بينة من المسلك المنحرف الذي حذر منه نبي الأمة -عليه الصلاة والسلام-، وحاشا رسولِ الله أن ينطق عن الهوى، لقد حذّر منهم، وبيّن أوصافهم، حتى تحذرهم هذه الأمة!

**لماذا الحديثُ عن الخوارج؟!** لأنهم الذريعة الكبرى، لوأد المشاريع الإسلامية الصحيحة النظيفة، قلبوا أنظاركم في أي عمل خارجي خرجت به فئات على الأمة، ستجدون بعدها، قد تم التضييق على عباد الله الصالحين، بل على المجاهدين الصادقين، بل على الإسلام وأهله أجمعين!

**لماذا الحديثُ عن الخوارج؟!** لأنهم على مر التأريخ والزمن القديم والحديث، لم يُنزلِ الله بهم نصرًا مؤزرًا، ولم يستقر لهم سلطان، ولم تستعز بهم دولة، بل كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عنهم: كلما خرج منهم قرن قُطع!!

**لماذا الحديثُ عن الخوارج؟!** لأنهم لبَّسوا على شباب الأمة أمر دينهم، وأتوهم من بوابة حبهم لفريضة الجهاد في سبيل الله، فجعلوهم حطبًا لأخدود كبير، أشعلوا فيه مواقد النار العظيمة.

**لماذا الحديثُ عن الخوارج؟!** لأنه قد جاء فيهم أكثرُ من عشرة أحاديث صحيحة كما قاله الإمام أحمد، فلماذا نستبعد حضورهم على الساحات، وهم الذين وُجدوا في زمن خير البرية، وإذا وُجدوا في ذلك الزمن، فوجودهم ووجود آثارهم في هذا الزمن أدعى!..

احذروا هذه الخطوات أيتها الأمة، من ذا الذي يعصمُنا من الله إن أراد بنا سوءًا، أنحن معصومون؟! كلا والله، فكما أننا نخافُ النفاقَ ونحذُره على قلوبنا ونخافه على أعمالنا ونحذِّر منه إخواننا، وكما أننا نخاف على أنفسنا من فتنة الإرجاء، ومن فتنة الاعتزال، ومن فتنة الرفض، ومن كل طائفة مضلة، فإنه يجب أن نخافَ من هذا الفكر المدمر.. ليس التعوذ بالله من فتنة هذا الفكر ترفًا دُعائيًا، بل نعوذ بالله من خطل الأهواء، ونزغات الأفكار، ومن همزات الشياطين، ونعوذ بك ربي أن يحضرون! **أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه كان للأوابين غفورًا.**

**الخطبة الثانية**

 أمَّا بعد:

**عباد الله!** نحن لسنا في حاجة إلى تنزيل فكر الخوارج على فئة مقصودة، لكننا بحاجة إلى تأصيله وإبلاغ الأجيال القادمة حتى تحذرهم، **ومن هنا فإني أبعث نداء حارًّا للشباب من أولي الألباب وأقول:** النية الطيبة وحدها لا تكفي، والحماس لنصرة الدين مجردًا من فعل سليم، يفتح هواتٍ من الهزيمة، ويحدث شروخًا لا تنجبر!! بل لا بد من العلم ثم العلم، والتحري لمعرفة الصواب!

**النداء الثاني:** تثبتوا من كل شيء، فأنفسنا واحدة، واللقاء مع الله -عز وجل- سيكون حاسمًا أكيدًا واحدًا، والعقول الناضجة المتوكلة على الله هي الناجية بإذن الله، والنبي -عليه الصلاة والسلام- حين قال عن الخوارج: "سفهاء الأحلام" إنما لأن عقولَهم ليست سوية، بل مهجَّنة، وترى الأشياء على غير صراطها المستقيم! فأحلامهم مبنيةٌ، على الحماس العاصف، والاستعجال العتي. وليست على برهان صحيح أو عقل نصيح، وماذا بقي إذا ذهبت الأحلام، **لا تبيعوا أيها الشباب أحلامكم ولا عقولكم لأحد،** ولا لشعار بديع اللون، أو راية متسقة التصميم، ولا لمن يفكر عنكم بالنيابة, وسلوا الله رؤية الحق واتباعَه، ورؤية الباطل واجتنابه .

**النداء الثالث:** المظاهر لا تُنبئ بالضرورة عن المخابر، فكم من مظهر يوسُفي على مخبر فرعوني، وكم من رجل على وجهه مسحةٌ من مَلاحةٍ، وتحتَ الثيابِ .. الخزيُ لو كان باديًا!

والخوارج الأوائل قال عنهم -عليه الصلاة والسلام: **"يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ"**، ولما لقيهم عبد الله بن عباس قال: "فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ .. وَوُجُوهُهُمْ معلّمة مِنْ آثَارِ السُّجُودِ"..

فكفى انخداعا بالشعارات، والزيوفِ اللامعة، والأحلامِ العجلى، بل إن هؤلاء أشدُّ خطرًا على الأمة من كل أحد؛ لأن الناظر بادئ النظر يسمع فلا يسمع منهم إلا حقًّا، ألم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم- عنهم أنهم يقولون من قول خير البرية وأنهم "يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ"؟!

**النداء الرابع:** إنه ما بعد سؤالِ الله العلم النافع، والعمل الصالح، شيءٌ كسؤال أهل العلم الحقيقيين، لأن الناس إذا تركوا هؤلاء العلماء، اتخذ الناس رؤوسا جهالاً لهم فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا .

الراسخون في العلم، هم الذي شابت في الإسلام خبرتهم، وقويت فيه عريكتهم واجتمع فيهم العلم والعمل والإخلاص والصدق، والفقه والفهم.

ليست مشكلة الخوارج في النصوص، فالنصوص موجودة محفوظة، وإنما في تنزيلها وفهمها الفهم الصحيح!

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الخوارج: "يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم"، ويقول شيخ الإسلام: "وَكَانَتْ الْبِدَعُ الْأُولَى مِثْلُ بِدْعَة الْخَوَارِجِ إنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ، لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ، لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ " !!فهم كما يقول ابن عمر: "انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين"!

**وبعدُ أيها الإخوة الكرام!** لم تأت هذه الخطبة، لتكون حلقة تأريخية مضت، بل: لتكون الخطبة تحذيرًا للأجيال من نبتة شوهاء، نحن صحراؤها، ومن عين حولاء نحن أجفانها، لم يكن عليٌ -رضي الله عنه- هو أولُ واقفٍ على خطر هذه الفتنة، ولن يكون الأخير!

لِمَ هذا التحذير من فتنة الغلو والخارجية؟ ليكون نداء رفيعا للأجيال: لنقول للأجيال:

**حذار حذار من نار تشبُّ**

**على هيشاتنا أبدًا تَهُبُّ**

**اللهم إنا نعوذ بك من خطل الأهواء والأدواء، ونعوذ بك أن نضل أو نُضل أو نزل أو نزل، أو نظلم أو نُظلم أو نجهل أو يُجهل علينا، اللهم لا تجعل الحق ملتبسا علينا فنضل، وأرنا الحق.**

**اللهم اجمع كلمتنا وكلمة المسلمين على البر والتقوى، وخذ بنواصينا لما تحبه وترضى** !